● نحن والمجتمع

المرأة في كربلاء.. دورٌ ورسالة

كان الإمام الحسين (ع) مدركاً أن مقاومته للسياسة الأموية نتيجتها الاستشهاد في سبيل الله، سواء بقي (ع) في المدينة المنورة أم في مكة المكرمة أم في أي مكانٍ آخر، ولكنه أراد أن يكون لاستشهاده أثر موضوعي في مسيرة الأمة التاريخية ومن أجل ذلك كان يخطط لإفشال مشاريع الإغتيال التي شاءت السياسة الأموية تنفيذها للتخلص منه، لأنّ ذلك النوع من الموت ليس له دويّ، أو أنّ دويه محدود، فلا تتبعه هزة بالمستوى المتوخى، ولا تعقبه ضجة على المستوى العام للأمّة بامتدادها التاريخي.

فضح الحكم الأموي وتعريته

إذن لا بدَّ من إنضاج الظروف الموضوعية لخلق هزّة تاريخية ذات أثر موضوعي على حاضر الأُمة ومستقبلها، الأمر الذي دعاه (ع) إلى التحضير إلى معركة حقيقية بين معسكر الإيمان الذي يقوده، وقوى الإنحراف التي يقودها البيت الأموي، ومن أجل ذلك دعا الإمام (ع) الرجال للإنخراط في صفوف الثورة، فكان لا يمر بقوم، أو بحي من أحياء العرب، وهو في طريقه إلى العراق، حتى يدعوهم إلى نصرته، والإنضواء تحت لوائه ليتسع مدار الضجة أفقياً وتاريخياً، ولعلنا هنا ندرك السر الذي جعل الإمام الحسين(ع) يحمل معه نساءه وأطفاله مع قناعته بالنتيجة المحتومة لتصديه للحكم الأموي.

فالإمام الحسين (ع) كان مقتنعاً إلى حد القطع أن نساءه ونساء أنصاره سيتعرضن للسبي والإهانة على أيدي عملاء السلطة الأموية، ولكنه كان يعلم أنَّ ذلك الإجراء ، سيكون له دور متقدم في فضح السياسة الأموية، وتعريتها أمام الأُمة.

دور إعلامي لنساء كربلاء

وإذا أضفنا إلى دور النساء ذلك في كشف سوأة الحكم الأموي وتعريته، أقول إذا أضفنا إلى ذلك دورهن بعد السبي: -في التحدث إلى الناس، ومواجهتهم بالحقائق وفضح ألاعيب السياسة الأموية في كل من الكوفة والشام، ومن خلال الخطب والمناقشات ومهاجمة الحكام، تصبح الغاية التي حمل الحسين (ع) من أجلها نساءه إلى قلب المعركة جلية.

ومن هنا أنَّ موضوع خروج النسوة مع الإمام الحسين (ع) وأصحابه كان أمراً مخططاً له مسبقاً، ومن أجل ذلك، فإنّ الإمام (ع) حين حدثه أخوه "محمد بن الحنفية" بشأن النساء وعن عزمه على مغادرة مكة إلى العراق، قال (ع): "قد شاء الله تعالى أن يَراهنَّ سبايا.

أن النساء كان لهن دور إعلامي فعال في إيضاح أهداف الثورة، وكشف مظلومية أهل البيت (ع) وأحقيتهم في سياسة أُمور الناس، بالإضافة إلى تعرية الخط المنحرف الذي ينتهجه البيت الأموي في توجيه دفة الحياة الإسلامية، وتضليل سواد الأُمة، وإغراء ذوي النفوس الضعيفة منها.

الرؤى الفكرية للسيد موسى الصدر...

المرأة عنصر أساسي في عملية التغيير والتقويم الاجتماعي

الوفاق/ وكالات تبرز أهمية دراسة الرؤى الفكرية للسيد "موسى الصدر" لقضايا المرأة ومشكلاتها، بأنه كان أول من وضع خطة عملية ميدانية لمعالجة قضايا المرأة ومعاناتها في لبنان والعالم العربي والإسلامي، مستلهماً من القرآن الكريم المرتبة التي تجعل من المرأة الشريك الوجودي الأصيل للرجل.

وباعتبار المرأة عنصراً أساسياً في عملية التغيير والتقويم الاجتماعي، إنطلاقاً من النظرة الأممية إلى المرأة مروراً بدراسة واقع المرأة في المنظومة الإسلامية، والخلفيات التي تقف خلف الرؤية الدونية للمرأة في المجتمعات العربية والإسلامية المعاصرة، ودراسة الأسباب الفكرية والثقافية التي ساهمت في تعطيل دور المرأة، وعوامل نهوضها، وعرض عدد من المعوقات التي تواجهها.

لذلك كانت هذه المقالة اليوم وفي الذكرى الخامسة والأربعين لتغييبه من أجل الكشف عن الرؤية الإسلامية للسيد الصدر لواقع المرأة وأهمية تغيير هذا الواقع نحو الأفضل وفقاً لتعاليم الإسلام.

عاش السيد الصدر واقع المرأة المعاصرة بكافة تفاصيله، أدرك وأحصى السلبيات والظواهر التي أدت إلى انحطاط المجتمعات البشرية بسبب وضع المرأة المزري والتي لم تعاملها كإنسانة. ولم ينظر إليها على ضوء مقتضيات الوجدان الأخلاقي والتعاليم الإلهية وفق الرؤية الإسلامية التي لم تُميز بدورها بين الرجل والمرأة على مستوى الإنسانية، بل اعتبرت المرأة نفس الرجل لا أنها طينة مختلفة عن طينة الرجل، أو أنها خُلقت من مادة أدنى من مادة الرجل أو من أحد أعضائه وغير ذلك من المقولات التي تحتقر المرأة وتنزل بها أشد وأفضح الظلامات.

والإسلام الذي أقر بمبدأ المساواة في الإنسانية والحقوق ولم يفضل الرجل على المرأة في الخلقة، لم يقر تشابه وتماثل الحقوق بينهما، لأن في ذلك ظلماً على المرأة في الخلقة.

انطلق السيد الصدر في فكره من الآية القرآنية الكريمة:" إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً "، فالإنسان هو خليفة الله على الأرض، ويتابع الله "سبحانه وتعالى" في آياته المحكمات: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ" — "يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ، واحِـدَةٍ"، "وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ، "إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ"، نجد في هذه الآيات إن الله (سبحانه وتعالى) لم يميز بين المرأة والرجل في الخطاب المتعلق بالخلق والإيمان والصدق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كان التمييز بينهما فقط في الواجبات الدينية وبعض الحقوق. من هذه المساواة في الخلق والتكريم انطلق السيد الصدر ونظرته الى المرأة كإنسان وطالبها أن تخرج من أنوثتها إلى إنسانيتها لتؤدي دورها في المجتمع.

بدأ السيد بدراسة تاريخية للمرأة منذ الحضارات الرومانية واليونانية والفارسية مروراً بالصينية والهندية وجاهلية العرب ليجد أن الأديان جميعها هي التي كرمت المرأة وأعطتها حريتها وليس هذه الحضارات المزعومة قائلاً: " لو حاولنا تحرير المرأة تحريراً حقيقياً فإننا نجد في التعاليم الدينية ما يؤمن لها ذلك. معتبراً أن الدين لا يمنع إطلاقاً من ممارسة المرأة لمختلف النشاطات الاجتماعية وأن الحجاب الشرعي لا يمنع المرأة من ممارسة أي نشاط في العالم.

اقتران القول بالفعل

وهنا لا بد من القول أن السيد الصدر لم يكن منظراً دون تطبيق كان يقول ما يمارسه ويمارس ما يقوله، فتروي السيدة رباب الصدر شقيقة الإمام الصغرى أنها كانت ترغب في تعلم التطريز خارج المنزل، لكن والدتها وشقيقها الأكبر السيد رضا وهو علامة وفيلسوف وله عشرات المؤلفات رفضا ذلك بحجة أن بنات المراجع وعلماء الدين لا يخرجن من المنزل خاصةً أنهم يسكنون في حي لرجال الدين فقط. أخبرت السيدة رباب شقيقها السيد الصدر برغبتها فأقنع السيد والدته وشقيقه بخروجها للتعلم موجهاً لها رسالة: عليك أن تكوني نموذجاً .. إن كنت كذلك، تكونين قد فتحت الباب أمام جميع بنات العلماء للخروج للتعلم، وإن لم تكوني كذلك قضيتي على كل أمل لهن بذلك...

حرية المرأة بين الإسلام والغرب

كان السيد الصدر يؤمن بإنسانية المرأة ويرفض استغلالها كسلعة أو لوحة فنية. ويقول في هذا الاطار إن إبراز مفاتن المرأة احتقار لها وتنكر لكفاءاتها وتقليل لعمرها ولوقتها وفرصها الغالية.

وكان يؤمن بحرية المرأة لكنه كان ينتقد الحضارة الحديثة معتبراً أنها لم تؤمن الحرية الصحيحة لها، إذ أن رفع شعار المساواة مع الرجل في الغرب لم يؤد إلا إلى انتصارٍ ظاهري. لكن وضع المرأة زاد تعقيداً ومأساوية وتعاظمت مستويات الإجهاض والطلاق والتفكك الأسري ونحو ذلك من الظواهر الإجتماعية الخطيرة، ما جعل المرأة مكبلة بطوق جديد من الإجراءات والتدابير الظالمة ساقها إلى أوضاع اجتماعية وأخلاقية بعيدة كل البعد عن العدل والكرامة الإنسانية التي تطلبها في كل حين.

وعليه يذهب السيد الصدر إلى مقاربة مسألة التحرر عبر وجوب تخطي التخلف وتحمل المرأة لموجباتها الاجتماعية والعائلية والإنسانية، فالحرية مسؤولية ورغبة عاطفية ترتبط بالمنطق. والتحرر ليس فك ارتباط واستقلال عن القيم، ومعالجة الأزمات التي تعيشها المرأة لا تكون بالخلاص والتهرب من التعهدات والمسؤوليات، فالإشكالية ليست في الحرية المسؤولة التي لو تسنى للمرأة أن تعيشها لبلغت القمة في الأخلاق والمجد، بل في التحرر المتفلت من أي قيود.

خطابه أسس لعمل نسائي مقاوم

يروي السيد صدر الدين الصدر نجل السيد الصدر، أن سماحته كان يتوجه عند انتهاء محاضراته في جمعية البر والارشاد إلى المكان المخصص للنساء ويستمع إليهن ناصحاً متفهماً يرشدهن للحلول. وكان في المشاكل الخاصة يستدعي الزوج فيؤنبه على المعاملة الفظة التي يعامل بها الزوجة أو الابنة وهذا ما عكس واقعاً مغايراً للسائد مما ساهم في تطور مفهوم العلاقة بين الرجل والمرأة...

السيد الصدر كان يعتقد أن المرأة تشكل أكثر من نصف المجتمع وأن عليها تأدية الدور الرسالي خدمةً للأسرة والمجتمع. كان يقول نحن في مجتمعنا بحاجة ملحة إلى اكمال الرسالة، نحتاج إلى نساء يقوين العزائم ويقفن بقوة الى جانب الرجل.

يتحدث عن الدور الرسالي للمرأة في الأسرة والمجتمع، في التعلم والتعليم، في العمل والإنتاج، وكذلك في العمل المقاوم. فقد كان يقول:" بودّي أن أتمكن من تجنيد نساء أمتي على حمل السلاح لكي يحلن بالاشتراك مع الرجل دون تكرار المأساة على أرضنا وفي كل يوم أنا أحرض نساء بلادي على ذلك" وقد تأثرت النساء بهذا الفكر فكنّ رساليات حركيات مجاهدات .. تدربن على السلاح وحملنه وقاومن العدو الصهيوني مقاومةً مباشرة في المواجهات أو بزرع العبوات أو بالمراقبة والتجهيز للعمليات الاستشهادية .. فكانت منهن عشرات الشهيدات والأسيرات في سجون العدو الصهيوني ومعتقلات العملاء ومجاهدات ما زلن على الخط والنهج يروين سير العز والبطولة.

> السيد موسى الصدر كان يعتقد أن المرأة تشكل أكثر من نصف المجتمع وأن عليها تأدية الدور الرسالي خدمةً للأسرة والمجتمع

● كتب اجتماعية

كتاب موسى الصدر.. مسار التحديات والتحولات

الوفاق/ وكالات

يُشكل هذا الكتاب للكاتب الشيخ صادق النابلسي والصادر عن مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي في بيروت أحد أهم الدراسات الفكرية والسياسية والاجتماعية والتي حاولت قراءة تجربة السيد الصدر من منظور فكري وثقافي واجتماعي وليس فقط في البعد السياسي أو الديني المحض.

وهذا الكتاب وهو في الأصل رسالة دكتوراه لم ينل حقه من الاهتمام والنقد عند صدوره قبل عدة سنوات ولكن رغم ذلك فهو يستحق القراءة مجدداً وذلك نظرا لأهمية المعلومات الواردة فيه حول مسيرة السيد الصدر ودوره وثانياً لأنه يتناول العديد من الموضوعات الفكرية والسياسية والاجتماعية التي لا تزال محور نقاش اليوم في لبنان والعالم العربي والإسلامي، كما إن الكتاب يتحدث عن موضوعات إشكالية في مسيرة السيد الصدر ومنها علاقته بالثورة الإيسلامية في إيران وبالمؤسسة الدينية الشيعية في لبنان والعراق وكذلك حول أدواره المختلفة السياسية والفكرية والثقافية والاجتماعية وكذلك علاقاته الخارجية ودوره في مسيرة الحوار الإسلامي المسيحي.

هذا الكتاب المهم يستعرض بدايةً تاريخ الشيعة في لبنان وتطور دورهم في ظل نظام المتصرفية ومرحلة الانتداب الفرنسي ومرورا بمرحلة الاستقلال وصولا إلى اليوم ودور الامام الصدر في المرحلة الأخيرة .

وعن حياة السيد الصدر يتحدث الكتاب عن المراحل الإيرانية والعراقية واللبنانية ويكشف معلومات مهمة عن علاقاته بالمرجعيات الدينية في إيران والعراق ولبنان وخصوصاً الامام الخميني(قدس) والسيد محسن الحكيم والسيد الخوئي وعلاقته بالسيد الشهيد محمد باقر الصدر وصولاً لعلاقاته بالقيادات الدينية في لبنان.

والجانب الأهم في علاقاته الإيرانية دوره على صعيد الثورة الإسلامية في إيران وعلاقته بالامام الخميني(قدس) وقيادات الثورة .

ومن ثم يستعرض الكتاب أهم الأسس الثقافية والاجتماعية والفكرية التي انطلق فيها السيد موسى الصدر في مسيرته والتي تأسست على أسس دينية وفلسفية واجتماعية ومن خلال دراسة معمقة للمشكلات التي تواجه الإنسان في عالم اليوم .

وعن الإشكالات التي واجهها السيد الصدر في لبنان يركز الكتاب على قضايا الهوية والانتماء ومواجهة العدو الصهيوني والعلاقات بين الطوائف والهواجس المتبادلة وكيفية تعزيز الهوية الوطنية والعيش المشترك .

ويقدم الكتاب نماذج مهمة من تجارب السيد على الصعد السياسية والاجتماعية والفكرية وخصوصا في قضايا الحوار والعيش المشترك ومنها دوره في الندوة اللبنانية وعلاقته بالفاتيكان وزياراته للدول العربية والإفريقية والأوروبية والمؤسسات التي ساهم في تأسيسها ودوره في المقاومة ودعمه للقضية الفلسطينية.

كما يستعرض أطروحات التجديد التي طرحها السيد حول مشكلات الحضارة اليوم وعلاقة الإنسان بالغيب وأسباب تأخر المسلمين والعدالة الاجتماعية والاقتصادية ودور الحكم الديني والشريعة وموقفه من المرأة .

لم يتعرض الكتاب لكل تجارب السيد الصدر السياسية والاجتماعية ومواقفه السياسية رغم الإشارة لرفضه للحرب الأهلية وكذلك لم يتعرض لتجربته في تأسيس حركة المحرومين وتفاصيل تأسيس المجلس الاسلامي الشيعي الأعلى والإشكالات التي رافقت كل ذلك والصراعات التي خاضها وإن كان يشير لبعض التحديات التي واجهها والمعارك التي خاضها داخلياً وخارجياً.

أهمية هذا الكتاب أنه يؤكد على ضرورة دراسة تجربة السيد موسى الصدر من زوايا فكرية واجتماعية وثقافية ويقدم إضافات مهمة ويجيب عن الكثير من الأسئلة التي طرحت حول علاقته بالثورة الإسلامية ودوره الكبير في دعم هذه الثورة رغم الظروف الصعبة التي كان يمر بها لبنان.